

## المقال التاسع

### يشجب بن يعرب \*

أؤكد للقارئ - بدايةً - أن هذا العنوان ليس من صياغتي ، وأنه مهما اتسع خيالي فلست بقادر على أن آتي بمثله . وترسبت الكلمتان في ذهني منذ بضعة أشهر ، حين كنت أقرأ مقالاً في إحدى الصحف أو المجلات ، لأذكر ماهي ، بل وماهو الموضوع على التحديد ، إذ كنت أسعى إلى أن يغشاني النوم بعد يوم مرهق من السعي في مناكب مصر المحروسة . وفجأةً أيقظتني الكلمتان ، واتسعت العينان ، واستعدت بالرحيم الرحمن .

كان المقال الذي قرأته عن ترجمة لسيرة إحدى الشخصيات الجليلة من السلف ، واعتمد الكاتب في مادته على ماورد في معجم البلدان لياقوت الحموي . وأورد - كما هي العادة في بداية الترجمات - سلسلة

---

(\*) مقال نُشر في عام ١٩٩٥ بمناسبة تنديد وشجب الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة مع الشعب الفلسطيني ، رغم ما كان يتم من جهود في عملية السلام .

أسماء المترجم له ، وكانت سلسلة طويلة ، انتهت فيها نسبته إلى (يشجب بن يعرب) . وأخذ الفكر يقلب في موقع كلمة (يشجب) أهى اسم أم فعل أم صفة ، وهل لصيغة الفعل حسب منطق اللغة المألوف (يشجب) ماله من دلالات ومعان كما نفهمها اليوم . وعلى أية حال . . . فلا يُعد نسب شيخنا الجليل - رحمة الله عليه - مسئلاً عما يثيره فعل الشجب في تاريخنا المعاصر من معان مثيرة ومريرة في عقل كل من يتتبع إلى بنى يعرب من المحيط إلى الخليج .

وتداعت الخواطر - كما اعتقد أنها تتداعى عند أى مواطن عربى - وهى تتذكر أن (يشجب) من أكثر الكلمات تواتراً وتكراراً فى قاموسنا السياسى ، وفى خطابنا الرسمى . والمستعرض للمواقف التى توظف فيها تلك الكلمة يدرك أنها تستخدم فى تصريحات لمواجهة أحداث أو سياسات أو اعتداءات تتنافى مع مصالحنا ، أو تهدد أمننا القومى أو تعتدى على حقوقنا ، أو على حقوق أشقائنا أو أصدقائنا من الأقطار الأخرى . ومن المنطقى أن يتبع (الشجب) بالقلم واللسان ، نوعاً من الفعل الذى يحول القول اللفظى إلى عمل إيجابى فاعل ومؤثر فى حركة مضادة لتصحيح الأوضاع ، وصد العدوان ، ورّد الحقوق بوسائل العمل وآلياته المتكافئة مع الاعتداء المرتكب ... فهل يصدق علينا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

إن هذا التعبير الفاتر في مواجهة الحقوق المسلوقة قد غدا ضعيفا متردداً باهتا ومترهلاً .

هل الشجب استجابة العاجز ؟ هذا صحيح . ولعله من المفيد في هذا الصدد أن يقوم أحد المشتغلين بالعلوم السياسية بإحصاء آلاف المرات التي ترددت فيها أصداء الشجب لاعتداءات إسرائيل ، وتحديها لقرارات الأمم المتحدة ، وعدوانها على الأرض والبشر .

وقد تم توظيف الشجب أحيانا من قبيل إبراء الذمة والمجاملة ، قياماً بالواجب في المناسبات ، وخوفاً من الملامة والعتاب في استنكار ما تقوم به إسرائيل يوماً بعد يوم من غارات مدمرة للقوى ، وقتل وترويع للسكان في جنوب لبنان . وقتل جندي إسرائيلي واحد تطغى أخباره على الفظائع الجماعية التي ترتكب في حق اللبنانيين . ويشجب بن يعرب أحياناً مجاراة للركب المتحضر من قبيل إظهار المشاعر الإنسانية إزاء المذابح والتجويع لأهل البوسنة على يد الصرب ، ولا بأس من شجب الحروب الأهلية في رواندا والكونغو وأنجولا ، وهي أقطار لا يستطيع بن يعرب أن يتخذ فيها أكثر من أن يشجب لبعد المسافة ، ولتعقد الموقف ، والالتزام بقرارات الأمم المتحدة . وإذا كان من المشاجين إزاء معاناة أهل القرابة والقربى ، فلا ينتظر منه أكثر من مجاملات الشجب مع الأبعدين .

وقد انكشف لنا في أخريات العام المنصرم أن ابن يعرب كان يشجب من قبيل التزييف والتمويه والخداع لجمهير هذه الأمة . يصبح بالشجب المتوتر ويفعل النقيض التام في زاوية قدرها ١٨٠ درجة . وآية

ذلك ماسمعناه وقرأناه من تصريحات بعض القادة من بنى يعرب ؛  
الذين شجبوا وشجبوا وأشبعونا شجبا لبنى إسرائيل ، ثم تبين أنهم كانوا  
على صلات ودية متصلة في نفس الوقت . وتزداد مرارة الخداع حين  
سمعناهم يتباهون بأن تلك الصلات لم تنقطع ، فقد امتدت خلال  
الثمانية عشرة سنة الماضية ، أى منذ عدوان عام ١٩٦٧ . وما أتعس  
شعوب يخذعها قاداتها ، ويعلنون ذلك تحت شعار أنهم دعاة سلام ، هو  
في جوهره سلام أمريكي ، كما يقول إدوارد سعيد ، سلام لا تقابله أرض ،  
وما استرد من حفنة من التراب المحتل ما تزال مليئة بالأشواك ، بل  
بالألغام . وقد اتخذ البعض من هذه الحفنة الأسيرة من التراب العربى  
ذريعة شرعية للسكوت ، حتى عن مجرد الصباح في أبواق الشجب .  
وتتوالى المهرولات حاملة زهور المحبة ، من خلال الزيارات واللقاءات  
والصفقات .

وإننا لمنتظرون في تفاؤل مستمد من ليلة الإسراء والمعراج التى تحرر فيها  
هذه السطور ، ونحو سعى جاد لتحرير القدس الشريف ومسجده  
الأقصى الذى أُسْرِى إليه محمد ﷺ ، والذي هو أولى القبلتين وثالث  
الحرمين . وفى سبيل ذلك التحزير لن ينفع الشجب ، ولن يبرر  
الخداع ، وسوف يكون الحساب فى الدنيا والآخرة عسيرا .